

الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه

للدكتورة سارة بنت فراج العقلاء^(١)

ملخص البحث:

عنوان البحث: الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه.

فكرة البحث ونتائجه: تعرض البحث للمعنى اللغوي للكفر وهو: الستر والتغطية، وأما المعنى الشرعي: فهو: ضد الإيمان، وهو: أي الإيمان عند السلف: قول وعمل ونية، يزيد وينقص، وهو شعب متعددة، كذلك الكفر ذو شعب متعددة متفاوتة، وهو: أي الكفر على مراتب كفر دون كفر، وينقسم إلى قسمين: أكبر مخرج عن الملة، وأصغر موجب لاستحقاق الوعيد، أما أمثلة الكفر الأكبر: الشرك بالله مثل: دعاء الأموات والأصنام والأشجار والكواكب ونحو ذلك، كذلك جحد ربوبية الله أو وحدانيته، وتجويز الكذب على الأنبياء، والاستهانة بالمصحف، كذلك من أنكر شيئاً مما جاء به الرسول وكان معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر، مثل من ينكر الملائكة أو

(١) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات بالرياض، الأقسام الأدبية.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

الكتب أو الرسل أو البعث، وكذلك من جحد ما علم من الدين بالضرورة أنه واجب كالصلاة والزكاة، ومن جحد ما علم من الدين بالضرورة أنه محرم كالزنا والسرقه فهو كافر.

ومن أمثلة القسم الثاني: سباب المسلم لأخيه المسلم، وقتاله له، ورميه له بالكفر، وارتكاب المحرمات مثل: الزنا والسرقه وشرب الخمر، والكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، والخيانة، والغدر، والحكم بغير ما أنزل الله، وإتيان الكهان، ونحو ذلك، مع أن هذه الأعمال وصفت في النصوص بأنها كفر أو شرك أو نفاق، وقد اتفق أئمة السنة على حملها على الكفر الأصغر.

وكان من أبرز المخالفين في هذه المسألة: الخوارج الذين كان أول خروج لهم في عهد علي رضي الله عنه وكانوا يرون تكفير مرتكب الكبيرة، وقد جاءت نصوص كثيرة في التنفير منهم، وكان السبب الذي أوقعهم في هذا الغلو والتشدد في الدين وفهم القرآن على غير فهم أئمة الدين وهم الصحابة ومن بعدهم..

وحذر أئمة السنة من رمي المسلم بالكفر، ذلك أن التكفير من الأحكام الشرعية ولا بد من الثبوت فيه غاية الثبوت ولا يصار إليه بمجرد الظن والهوى، فهو من أعظم القول على الله بلا علم، وللکفر آثار خطيرة منها ما ذكره الفقهاء من الأحكام الخاصة بالمرتد مثل: قتله، وعدم صحة تزويجه وتحريم ذبيحته، وما إلى ذلك من الأحكام.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛ فإن الخلاف في حقيقة الكفر من المسائل التي عظمت فيها الفتنة والمحنة، وكثر الافتراق، وتشتت الأهواء فيها والآراء، وتعارضت فيها الدلائل، وهي من أول المسائل التي ظهر فيها الخلاف بين الأمة، فقد ظهر مبكرا منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - حين خرجت الخوارج وقالوا بكفر صاحب الكبيرة، أو بما يظنونه هم كبيرة، وردّ الصحابة عليهم مذهبهم، ويتنوا خطأهم في مناظرات جرت بينهم، وهكذا أئمة أهل السنة من بعدهم، ومما يرد به على الخوارج: بيان الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، وإيراد النصوص التي ذكر فيها الكفر وأريد به الكفر الأصغر، فلذا كان من الأهمية بحث هذه المسألة وبيان الصحيح في مفهوم الكفر وأقسامه، وأمثلة على كل قسم، والشخص المؤهل لإصدار هذا الحكم، وذكر الأحاديث النبوية التي ورد فيها الكفر وبيان المراد منها كما فهمه أئمة أهل السنة، وذلك لمسيس الحاجة لتجلية هذا الأمر، ولتحقيق الفائدة للجميع ولاسيما صاحبة هذا البحث، وقد اخترت لهذا البحث عنوان: [الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه].

وجعلته في مقدمة و فصلين وخاتمة.

أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع، والمنهج المتبع فيه، والهدف منه. والفصل الأول بعنوان: مفهوم الكفر وأنواعه، وفيه ثلاثة مباحث.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

المبحث الأول: الكفر في اللغة والشرع.

المبحث الثاني: الكفر الأكبر حده وحكمه وبعض الأمثلة عليه.

المبحث الثالث: الكفر العملي حده وحكمه وبعض الأمثلة عليه.

والفصل الثاني بعنوان: الغلاة في التكفير والتحذير منهم. وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: التعريف بالخوارج وبيان نشأتهم.

المبحث الثاني: النصوص الواردة في التنفير منهم.

المبحث الثالث: أساس بدعة الخوارج.

المبحث الرابع: خطورة التكفير وآثاره.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

وقد التزمت في كتابتي لهذا البحث بالمنهج العلمي المتبع في كتابة البحوث، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية في الموضوع، وتوثيق النصوص، وعزوت الأحاديث إلى مصادرها مع ذكر رقم الحديث تسهيلاً لقارئ البحث، وترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في هذا البحث. وأما الهدف من البحث فهو: بيان أنواع الكفر وأقسامه والتعريف بكل نوع وذكر أمثلة له، وبيان الغلاة فيه وهم الخوارج والتعريف بمذهبهم وذكر النصوص الواردة في التنفير منهم، والتحذير من الغلو في التكفير..

هذا وأسأل الله التوفيق في القول والعمل، وأن يجنبني الزلل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

الفصل الأول

مفهوم الكفر وأنواعه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الكفر في اللغة والشرع.

المبحث الثاني: الكفر الأكبر حده وحكمه وبعض الأمثلة عليه.

المبحث الثالث: الكفر العملي حده وحكمه وبعض الأمثلة عليه.

المبحث الأول: الكفر في اللغة والشرع:

الكفر في اللغة: مصدر كفر يكفر كفراً، وكفوراً، وكفراناً، وكفره

بالتشديد: نسبه إلى الكفر، أو قال له: كفرت بالله، وأكفره إكفاراً: أي

حكم بكفره.

قال ابن فارس^(١): «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل علىمعنى واحد، وهو الستر والتغطية»^(٢).

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي

اللغوي، كان رأساً في الأدب، مات سنة ٣٩٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء،

شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١٧/١٠٣، وفيات الأعيان

وأبناء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، بيروت، ١٩٨٧م، ١٠/١١٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام=

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

فأصل الكفر هو تغطية الشيء، وسمي الفلاح كافراً لتغطيته الحب بتراب الأرض؛ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيَ قَرْيَةً مِّنْهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾^(١).

وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء؛ قال لبيد بن ربيعة^(٢):

حتى إذا ألفت يداً في كافر وأجنّ عورات الثغور ظلامها^(٣)
يريد الليل لأنه يغطي كل شيء ويستتره بظلمته.

وجاء في كتاب العين: «والكافر: الليل والبحر ومغيب الشمس، وكل شيء غطي شيئاً فقد كفره»^(٤).

وليس الكافر اسماً للفلاح أو الليل ولكنه وصف لهما، وكفران النعمة: جحودها وسترها، وهو ضد الشكر. وتستعمل كلمة الكفر في الدين أكثر من استعمالها في كفران النعمة، والكفران في جحود

= محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩١/٥.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) لبيد بن ربيعة، الشاعر المشهور، أدرك الإسلام، وهو صحابي جليل، كان فارساً شجاعاً سخياً، مات سنة ٤١ هـ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ٦٧٥/٥.

(٣) الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٦ م، ١٥٦.

(٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ٣٥٧/٥.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

النعمة، والكفور فيهما جميعاً^(١).

وأما الكفر في الاصطلاح الشرعي فهو: ضد الإيمان، سمي بذلك لأنه تغطية وستر للحق.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل ونية، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وأهم الأعمال عندهم عمل القلب؛ وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، ويرى أهل السنة أن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلب ولازمة له «فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد»^(٢).

ومن اعتقادات أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، وممن نقل الإجماع على ذلك البغوي^(٣): - رحمه الله - فقال: «اتفقت الصحابة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة كفر ٩/٥، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة كفر، ١٤٤/٥، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ٥٣٥/٢.

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، مطابع الرياض، الرياض، طبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ١٨٧/٧. وينظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، ابن القيم، تحقيق: تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ص ٥٤.

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، كان سيداً =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء»^(١).

والإيمان عند أهل السنة ذو شعب متعددة كما في الحديث الثابت: «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٢). وهذه الشعب متفاوتة: منها ما يزول الإيمان بزوالها مثل: الشهادة، ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله - بالاتفاق مثل: الإمطة،

= وإماماً زاهداً، توفي بمرور سنة ٥١٦هـ، وعاش بضعاً وسبعين سنة، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٧٦م، ٥٧/٧، البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٢٠٦/١٢، سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ٤٣٩/١٩.

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، ج١، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي: ١١٠/٨، وابن ماجه (٥٧)، وأحمد: ٤١٤/٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ومنها ما يضعف الإيمان بزواله. فليست شعب الإيمان على درجة واحدة، فالإيمان مثل شجرة لها أصل، وفروع، وشعب، فاسم الشجرة يشمل ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها، لم يزل عنها اسم الشجرة، وإنما يقال: هي شجرة ناقصة أو غيرها أتم منها^(١).

وكذلك الكفر - عند أهل السنة - ذو شعبٍ متعددةٍ منها ما يوجب الكفر، ومنها ما هو من خصال الكفار؛ فالكفر على مراتب: كفر دون كفر، كما أن الإيمان على مراتب: إيمان دون إيمان.

وقد أورد محمد بن نصر المروزي^(٢) - رحمه الله - هذا الأصل وحكاه عن السلف فقال: «والكفر ضد الإيمان، إلا أن الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال، فذلك ضد الإقرار بالله، والتصديق به، وبما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل»^(٣).

(١) ينظر: الفتاوى، ابن تيمية، ٧/ ٥٩٧، كتاب الصلاة، ابن القيم، ص ٥٣.

(٢) أبو عبد الله محمد بن نصر الحجاج المروزي، ولد ببغداد سنة ٢٠٢هـ، من الأئمة الأعلام في الحديث والسنة، توفي سنة ٢٩٤هـ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: ٢/ ٢٤٦، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٤/ ٣٣.

(٣) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ٢/ ٥١٧.

المبحث الثاني : الكفر الأكبر حده وحكمه وبعض الأمثلة عليه :

ينقسم الكفر إجمالاً إلى نوعين^(١):

الأول: كفر اعتقادي ينقل عن الملة، وهذا هو الكفر الأكبر، وهو موجب للخلود في النار.

والثاني: كفر عملي لا اعتقادي، وهو الكفر الأصغر. وهذا النوع موجب لاستحقاق الوعيد، دون الخلود في النار.

فأما الكفر الاعتقادي: فيكون بتكذيب الرسول ﷺ، أو مخالفته ومعاداته بدون تكذيب، وهو مضاد للإيمان من كل وجه؛ ذلك أنه «لا بد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله، وحب الله ورسوله، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ولرسوله، ومعاداة الله ورسوله ليس إيماناً باتفاق المسلمين»^(٢).

وهذا الكفر لما كان مضاداً للإيمان من كل وجه فإنه يخرج صاحبه من الدين والملة، ويحبط عمله، ويوجب له الخلود في النار. وهو يتنوع إلى ستة أنواع هي:

١ - كفر الإنكار: وهو أن ينكر بقلبه ولسانه؛ بأن لا يعرف الله

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٢٨/٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٥٣٧/٧. وينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق وتعليق: عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٤٩٢/٢، ٥١٦.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

- أصلاً، ولا يعترف به، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد.
- ٢- كفر الجحود: وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر ولا يعترف بلسانه؛ قال تعالى عن كفر فرعون وأتباعه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).
- ٣- كفر الإباء والاستكبار: مثل كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولم ينكره، فهو لم يخبر بخبر، وإنما أمره الله بالسجود فقابله بالإباء والاستكبار، وكذلك كان كفر كثير من الأمم.
- ٤- كفر الإعراض: وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إليه البتة.
- ٥- كفر الشك: بأن لا يجزم بصدق النبي ولا كذبه، بل يشك في أمره.
- ٦- كفر النفاق: وذلك بأن يظهر بلسانه الإيمان ويطوي بقلبه التكذيب؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

فهذه أنواع الكفر الأكبر التي ذكرها العلماء^(١)، وهي كلها تضاد الإيمان كما سبق، قال ابن تيمية^(٢): «الكفر عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»^(٣).

أمثلة الكفر الأكبر:

تحصل الردة التي هي الكفر بعد الإسلام بالقول، والفعل، والاعتقاد، والشك.

(١) ينظر: كتاب الصلاة، ابن القيم ص ٥٥، مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق:

محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ (١/٣٣٧).

(٢) شيخ الإسلام، إمام الأئمة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، ولد سنة ٦٦١هـ، أوجد دهره في التفسير والفقه والأصول والسنة، أثنى عليه أعداؤه، أودى في الله وسجن عدة مرات حتى توفاه الله بالسجن سنة ٧٢٨هـ، ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٤/١٤١، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ، ١/٦٣، ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادي، المعروف بابن رجب، مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٧٣هـ، ٢/٣٨٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ١/١٥٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٢/٣٣٥.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وأعظم المكفرات: الشرك بالله: مثل دعاء الأموات، والاستعانة بهم، ودعاء الأصنام، والأشجار، والكواكب، ونحو ذلك^(١).
وكذلك جحد ربوبية الله، أو وحدانيته؛ قال القاضي عياض^(٢):
«كل مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوجدانية، أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر»^(٣).

وقال: «وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته، ولكنه اعتقد أنه غير حي، أو غير قديم، وأنه محدث، أو مصور، أو ادعى له ولداً، أو صاحبة، أو والدأ، أو أنه متولد من شيء، أو كائن عنه، أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً غيره، أو أن ثم صانعاً للعالم سواه، أو مدبراً غيره، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين»^(٤).

وقال: «كذلك من ادعى مجالسة الله، والعروج إليه، ومكالمته،

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد عبدالرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ٢/ ٤٠٣.

(٢) عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ، كان إماماً في علوم كثيرة، توفي سنة ٥٧٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان ابن خلكان: ٣/ ٤٨٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٠/ ٢١٢، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٢/ ٢٤١.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد أمين قره علي وجماعة، مكتبة الفارابي: ٢/ ٦٠٤.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٦٠٥.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أو حلوله في أحد الأشخاص.. وكذلك من قال بقدوم العالم أو بقاءه أو شك في ذلك».

أيضاً من المكفرات التي أجمع العلماء على كفر صاحبها: سب الله، أو سب رسول الله ﷺ، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده^(١).

ومن المكفرات: تجويز الكذب على الأنبياء، وادعاء النبوة، أو تصديق من ادعاهها؛ لأن مسيلمة الكذاب^(٢) لما ادعى النبوة فصدقه قومه صاروا مرتدين، وكذلك ذو الخمار^(٣) ومصدقوه^(٤).

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبع عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٥١٢. ينظر: المغني، موفق الدين عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ١٢/٢٩٨.

(٢) مسيلمة بن ثمامة الحنفي، كان يتلقب برحمن اليمامة، قدم على النبي ﷺ في العام التاسع، وارتد بعد عودة الوفد، أرسل إليه الصديق جيشاً بقيادة خالد بن الوليد، وقتل عام ١٢هـ. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٤٥/٦.

(٣) اسمه عبهلة بن كعب بن غوث، ويلقب ذا الخمار لأنه كان معتماً مختبراً أبداً، ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، وقتله فيروز الديلمي. وقد أتى الخبر النبي ﷺ ليلة قتله وقال: «قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين». ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٤٦/٦.

(٤) ينظر: الشفا، القاضي عياض: ٦٧/٢ - ٦٩، المغني ابن قدامة: ١٢/٢٩٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ومنها الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسله^(١).

وكذلك لو استهان بالمصحف وألقاه في القاذورات^(٢)؛ قال القاضي عياض: «واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفاً منه أو آية، أو كذب به، أو بشيء منه، أو بشيء مما صرح به فيه من كلم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبتته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع»^(٣).

ويكفر من أنكر شيئاً مما جاء به النبي ﷺ، وكان معلوماً من الدين بالضرورة؛ فهو كافر، مثل من ينكر: الملائكة، أو الكتب، أو الرسل، أو الجنة والنار، والبعث، وغير ذلك.

وكذلك من جحد ما علم من الدين بالضرورة أنه واجب؛ كالصلاة والزكاة، ومن جحد ما علم من الدين بالضرورة أنه محرم كالزنا والسرقه فهو كافر^(٤).

(١) ينظر: المغني، ابن قدامة: ٢٩٨/١٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٣٢٧/١.

(٣) الشفا، القاضي عياض: ٦٤٦/٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٦١٣/٢ - ٦١٥، فتاوى اللجنة الدائمة: ٣/٢ - ٤.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

قال القاضي عياض: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، وما عرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ووقع الإجماع المتصل عليه»^(١).

وقد اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر^(٢)، أما بقية أركان الإسلام الأربعة فاختلّفوا في تكفير تاركها، وأشهر ما اختلفوا فيه تكفير تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً - مع إقراره بوجوبها - فالأكثر على كفره ومن أدلتهم قوله ﷺ: «بين الرجل والكفر ترك الصلاة»^(٣).

وكذلك حديث عبد الله بن شقيق^(٤) قال: «كان أصحاب رسول الله لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة»^(٥).

وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف، وهو قول ابن

(١) الشفا، القاضي عياض: ٦١٢/٢.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣٠٢/٧، جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ٣٢٧/١.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦١٨)، وابن ماجه (١٠٧٨).

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن شقيق العقيلي، تابعي جليل، من أهل البصرة، كان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة، ثقة، مات سنة ١٠٨ هـ، ينظر: الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م، ٨١/٥، تهذيب التهذيب، ابن حجر ٢٥٣/٥١.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٤٩/١١.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

المبارك^(١) وأحمد وإسحاق^(٢)، وحكى إسحاق عليه إجماع أهل العلم. وقال محمد بن نصر المروزي: هو قول جمهور أهل الحديث^(٣). والمذهب الثاني: عدم تكفير تارك الصلاة، وهو مذهب كثير من الفقهاء، وقول أبي حنيفة^(٤) ومالك^(٥) والشافعي، واختيار

(١) عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولا هم التركي ثم المروزي، الحافظ الإمام، ولد سنة ١١٨ هـ، كان من أهل الفقه والحفظ والعربية، وكان كثير الغزو والحج. مات سنة ١٨١ هـ. ينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر: ١٠/١٥٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨/٣٧٨، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠/١٨٤.

(٢) الإمام إسحاق بن راهويه سيد الحفاظ، ولد سنة ١٦١ هـ، وكان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد، توفي سنة ٢٣٨ هـ. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي: ٦/٣٤٥، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم: ٢/٢٠٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١١/٣٥٨.

(٣) تعظيم قدر الصلاة، المروزي ٢/٦٣٦، وينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب ١/١٤٧.

(٤) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، أصله من الفرس، ولد سنة ٨٠ هـ، وهو أحد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٥٠ هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٦/٣٩٠، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠/١١٠.

(٥) إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٩٣ هـ، توفي سنة ١٧٩ هـ، دفن بالبقيع. ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ابن بطة^(١) ^(٢).

قال ابن الوزير^(٣): «أما إطلاق الكفر عليه فصحيح، ولكنه يحتمل كفراً دون كفر، ودلت على هذا دلائل منها حديث عبادة عنه عليه السلام: «ومن لم يحافظ عليها فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»^(٤) ^(٥).

= ٣١٦/٦، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٨/٨، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٨٠/١٠.
(١) عبيد الله بن محمد العكبري، من فقهاء الحنابلة، كان أماراً بالمعروف، صالحاً، مستجاب الدعوة، توفي بعكبرا، بالقرب من بغداد سنة ٣٨٧هـ. ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد القفي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: ١٤٤/٢.

(٢) ينظر: المغني، ابن قدامة: ٣٥٤/٣، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: رضا ابن نعيان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ٧٢٥/٢.

(٣) محمد بن إبراهيم الوزير اليماني، ولد على المشهور سنة ٧٧٥هـ، ورحل إلى صنعاء وتعز ومكة وغيرها في طلب العلم، كان من أبرز علماء اليمن المجتهدين المتمسكين بالكتاب والسنة، توفي عام ٨٤٠هـ. ينظر: البدر الطالع، الشوكاني: ٩١/٢٠.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٥) و(١٤٢٠)، والنسائي ٢٣٠/١، وابن ماجه (١٤٠١)، وأحمد: ٣١٥/٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٣.

(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

على أن ابن تيمية - رحمه الله - ذكر أن هذا الحديث لا دلالة فيه لعدم تكفير تارك الصلاة - وإن كان أجود ما اعتمدوا - لأن النبي ﷺ أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفي المحافظة يقتضي أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها.

ثم ذكر أن الفقهاء الذين يقولون بعدم تكفيره يقولون بأنه يقتل مع إسلامه، مع أنه لا يتصور أن يقر مسلم بأن الله أوجب الصلاة عليه، ويأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع حتى يقتل، ويكون مع ذلك مؤمناً، فهذه مسألة يمتنع وقوعها وهي من باب فرض ما لا يقع؛ بل من يفعل هذا الفعل لا يكون إلا كافراً غير مقرر بوجوبها^(١).
ومن جحد وجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين^(٢).

المبحث الثالث: الكفر العملي حده وحكمه؛ وبعض الأمثلة عليه:

أما الثاني من أنواع الكفر: فهو الكفر الأصغر، الذي يسميه أهل السنة: الكفر العملي، وهو: مخالفة حكم من أحكام الشريعة، ومعصية عملية، لا تخرج عن أهل الإيمان، وإنما توجب لصاحبها الوعيد بالنار، دون الخلود فيها، وسميت كفراً لأنها من خصال الكفر.

= ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ٧٩/٩.

(١) ينظر الفتاوى، ابن تيمية، ج ٧ ص: ٢١٨، ٦١٥ - ٦١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢٨ / ٣٠٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

قال ابن القيم^(١): «الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان»^(٢).

فللكفر فروع دون أصله: «لا تنقل صاحبه عن ملة الإسلام، كما أن للإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل، لا ينقل تركه عن ملة الإسلام»^(٣). وعلى هذا فإنه يجتمع في الإنسان كفر عملي لا ينقل عن الملة وإيمان؛ وهذا من أصول أهل السنة، وخالفهم المبتدعة على اختلاف أصنافها في هذا^(٤).

(١) العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية وابن قيمها، ولد سنة ٦٩١ هـ، لازم الشيخ ابن تيمية من سنة ٧١٢ هـ إلى أن مات، كان ذا عبادة واجتهاد مع حسن خلق، وبرع في علوم متعددة، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٧٥١ هـ، ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٤٦/١٤، الدرر الكامنة، ابن حجر: ٢١/٤.

(٢) كتاب الصلاة، ابن القيم، ص: ٥٣.

(٣) تعظيم قدرة الصلاة، محمد بن نصر المروزي، ص: ٥٢٠.

(٤) خالف أهل السنة في هذا الأصل: المرجئة، الوعيدية على اختلاف أصنافها، فالطرف الأول، المرجئة - على تعدد فرقهم - وهم ثلاثة أصناف: صنف يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب من المعرفة، وهؤلاء هم الجهمية ومن وافقهم، =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وعلى هذا الأصل فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر، ومعه إيمان؛ فلا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بإنسان ما

= وصنف يقولون: الإيمان هو قول اللسان، وهؤلاء هم الكرامية، وصنف يقولون: الإيمان هو: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا مشهور عن مرجئة الفقهاء، ومن وافقهم: والماتريدية. وأما الطرف الثاني فهم الوعيدية: ويمثلهم الخوارج والمعتزلة الذين يرون أن الإيمان هو مجموع الطاعات، ويرون تكفير من أخل بشيء من الطاعات، أو ارتكب معصية من المعاصي، ويسمى هؤلاء أهل الوعيد لإجماعهم على أن نصوص الوعيد تبقى على عمومها، وهاتان الفرقتان متفقتان على انتفاء إيمان مرتكب الكبيرة، وأنه مخلص في النار، لكنهم يختلفون بعد ذلك في حكمه، فتسميه الخوارج كافراً، وأما المعتزلة فيسمونه فاسقاً. ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج ١ ص ١٦٧، ٣١٣، ٣٣٦. التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية من فرق الهالكين، أبو المظفر الإسفرايني، تعليق الكوثري، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ص ٩٧، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق الكوثري، نشر: عزت العطار الحسيني، مؤسس مكتب نشر الثقافة الإسلامية، عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٤٧، الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٩، ٧٨، ١٥٨. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ٤٤/١، ٨٩، ١٠٨، ١١٣.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أن يكون كافراً الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر^(١).

وقد ورد عن سلف الأمة تقسيم الكفر إلى ما يخرج عن الملة، وإلى ما لا يخرج عن الملة، ومن هؤلاء: ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما، وطاووس^(٣)، وعطاء^(٤)، وغيرهم.

واختلف العلماء: هل يسمى مرتكب الكبائر كافراً كفاً أصغر،

(١) ينظر: الفتاوى، ابن تيمية ٣٥٥/٧، ٥٢٠، اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤، ج١ ص ٢٠٨.

(٢) حبر الأمة وإمام التفسير، ابن عم رسول الله ﷺ ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل إلى المدينة مع أبويه بعد الفتح، دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين ومعرفة التأويل، كان من أمراء علي، توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، ٣٦٥/٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٣١/١٣، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني: ٣٣٠/٢.

(٣) أبو عبد الرحمن، طاووس بن كيسان الفارسي ثم اليماني، أحد الأئمة الأعلام، من سادات التابعين، أدرك جماعة من الصحابة، وأكثر الرواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - توفي بالمزدلفة أو بمنى حاجاً سنة ١٠٦ هـ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥٣٧/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٨/٥، البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ١٤٠٨ هـ: ٢٤٤/٩.

(٤) عطاء بن أبي رباح، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، أحد كبار التابعين، ولد بمكة في خلافة عثمان رضي الله عنه، كان أسود أعور أفتس أشل أعرج ثم عمي، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، مات بمكة سنة ١١٥ هـ، ينظر: طبقات ابن سعد: ٤٦٧/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٧٨/٥، البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٣٢/٩.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أو منافقاً النفاق الأصغر^(١)، على أنه لا يترتب على هذا الخلاف اختلاف في حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة. أمثلة هذا النوع من الكفر:

ورد في كثير من نصوص الكتاب والسنة تسمية بعض الذنوب كفراً، وأجمع أهل السنة على أن صاحبها لا يكفر الكفر الناقل من الملة، ومن هذه النصوص:

الأول: قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» متفق عليه^(٢).
وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٣).
والكفر الوارد في هذين النصين هو الكفر الأصغر، الذي لا يخرج عن الملة، لأن الله تعالى لم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص أخوة الدين، وذلك في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ بِالْحَرِّ وَالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَائْتَبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ج١، ١١١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨) و(٦٠٤٤) و(٧٠٧٦٠)، ومسلم ٦٤، وابن ماجه (٦٩) و(٣٩٣٩)، وأحمد ١/ (٣٨٥) و(٤١١) و(٤٣٣) والنسائي ١٢٢/٧.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٠٣) و(٦١٦٦) و(٦٧٨٥) و(٧٠٧٧) ومسلم (٦٦)، (١٢٠) والنسائي ١٢٦/٧ و١٢٧، وأبو داود (٤٦٨٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣)، وأحمد

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

مَنْ رَبَّكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(٢)﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٣).

فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وجعلهم جميعاً إخوة، والمراد أخوة في الدين.

واستدل البخاري^(٣) - رحمه الله - وغيره بهذه الآية على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت فقال:

«باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فسماهم المؤمنين»^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه - وهي أعجمية معناها الزراع - ولد سنة ١٩٤ هـ، رحل في طلب الحديث. صنف كتابه الصحيح في ست عشرة سنة. وقد أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وشرطه فيه أعز من شرط كل كتاب، امتحن بسبب قوله: لفظي بالقرآن مخلوق، وكان الحق معه، توفي في خرتك، مدينة بسمرقند سنة ٢٥٦ هـ، ينظر: تاريخ بغداد، ٤/٢، البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٧/١١ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٩١/٢١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ٨٤/١ (الصحيح مع الفتحة).

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وعنده أيضا «باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ: إنك امرؤ فيك جاهلية»^(١).
قال ابن حجر^(٢): وأما قصة أبي ذر^(٣) فإنما ذكرت ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها، سواء كانت من الصغائر أو الكبائر^(٤).
كذلك مواقف السلف العملية فإنها تؤكد على هذا فقد كانوا «مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض،

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل العسقلاني، المعروف بابن حجر، ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر، نشأ يتيما، برع في علوم شتى، ولي القضاء عدة مرات، توفي عام ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ٣٠/٣٦، البدر الطالع، الشوكاني: ٨٧/١٠.

(٣) جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين قيل: كان خامس خمسة، فاته بدر وهاجر بعد الخندق، شهد فتح بيت المقدس مع عمر، كان من زهاد الصحابة، أقام بالريدة حتى مات عام ٣٢هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ٢١٩/٤، البداية والنهاية، ابن كثير: ٧١/٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٦/٢، الإصابة، ابن حجر: ٦٢/٤.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي: ٥٣/١، قام بإخراجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون معاملة المسلمين مع ما كان بينهم من القتال»^(١)، بل الراوي لحديث «لا ترجعوا بعدي كفاراً» الصحابي أبو بكره الثقفي^(٢) لم يمتنع من الصلاة خلف الصحابة المتقاتلين، وكذا كان يمثل أوامرهم، مما يدل على أنه لم يكن يعتقد فيهم الكفر الناقل عن الملة^(٣). ومن المعاني والتأويلات التي ذكرها العلماء في هذين الحديثين:

- ١- أن الكفر الحقيقي الناقل عن الملة إنما هو في المستحل.
- ٢- أو أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود.
- ٣- أو أنه قد يؤول إلى الكفر بشؤمه، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها فيخشى أن لا يختم له بخاتمة الإسلام.
- ٤- أو أنه كعمل الكفار لأن قتال المؤمن من شأن الكافر.
- ٥- أو أن المراد الكفر اللغوي وهو التغطية والستر، لأن حق

(١) الفتاوى، ابن تيمية ٢٨٥/٣.

(٢) مولى النبي ﷺ نفع بن الحارث، تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي ﷺ وأسلم على يده وأعلمه أنه عبد فأعتقه، سكن البصرة، مات سنة ٥١ هـ.

ينظر: طبقات ابن سعد: ١٥/٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٥/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر: ١١٢/١.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه، فلما قاتله كأنه غطى على هذا الحق.

٦- أو أن إطلاق الكفر مبالغة في التحذير^(١).

فهذا كله يؤكد - كما سبق - على أن المتقاتلين من المسلمين لم يخرجوا من الإيمان بالكلية، ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة^(٢).
الثاني: قال ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما» متفق عليه^(٣).

والكفر المراد هنا هو الكفر العملي: يدل على ذلك أنه سماه أخاه حين القول، وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه^(٤).

وقد ذكر النووي^(٥) - رحمه الله - أن هذا الحديث عدّه بعض

(١) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٥٤/٢، فتح الباري: ١١٢/١، ٢٧/١٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣٥٥/٧.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٣) (٦١٠٤) ومسلم ١١، ٦٠، والترمذي (٢١٣٧)، وأحمد (١٨/٢)، وأبو داود (٤٦٨٧).

(٤) الفتاوى، ابن تيمية: ٣٥٥/٧.

(٥) يحيى بن شرف بن حسن النووي الحازمي، محيي الدين أبو زكريا الدمشقي الشافعي، كبير الفقهاء في زمانه، ولد بنوى سنة ٦٣١ هـ، كان زاهدا ورعا، توفي سنة ٦٧٦ هـ. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٩٤/١٣ هـ، تذكرة الحفاظ، شمس الدين =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

العلماء من المشكلات لأن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي، فيحمل هذا الحديث على المستحل لذلك، أو أن نقيصته لأخيه ترجع عليه، أو أن ذلك محمول على الخوارج، وهذا غير صحيح؛ لأن الصحيح أن الخوارج لا يكفرون^(١)، أو أن المعنى أن ذلك يؤول به إلى الكفر، فالمعاصي بريد الكفر، أو أن تكفيره لأخيه المؤمن كأنه تكفير لنفسه؛ ذلك أنه كفر من هو مثله^(٢).

وذكر ابن حجر - رحمه الله - أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم^(٣). ومهما اختلفت التأويلات فالحاصل أن العلماء مجمعون على أن هذا الفعل لا يعد من الكفر الأكبر؛ بل هو من الكفر الأصغر.

الثالث: قوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»

= الذهبي، دار إحياء التراث: ١٤٧٠/٤، طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، ص: ٥١٣.

(١) سيأتي التعريف بهم في الفصل القادم.

(٢) شرح النووي: ٤٩/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر: ٤٦٦/١٠.

متفق عليه^(١).

وقد فسر أهل العلم النفاق هنا بالنفاق الأصغر؛ ذلك أن النفاق عندهم نفاقان: نفاق أكبر وهو نفاق القلب، ونفاق أصغر، وهو نفاق العمل، قال ابن حجر معلقاً على ترجمة البخاري «باب علامة المنافق»: لما قدم أن مراتب الكفر متفاوتة وكذلك الظلم أتبعه بأن النفاق كذلك^(٢)؛ فالنفاق هنا هو نفاق العمل، وذلك بأن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك، والنفاق في اللغة من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير.

وقال الإمام البغوي: والنفاق ضربان: أحدهما أن يظهر صاحبه الإيمان وهو مسرّ للكفر، كالمنافقين على عهد رسول الله ﷺ، والثاني: ترك المحافظة على حدود أمور الدين سرّاً، ومراعاتها علناً، فهذا يسمى منافقاً، ولكنه نفاق دون نفاق^(٣).

وقال ابن تيمية: فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان وهو المنافق المحض، ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن، ولكنه لم يفعل الواجب كله لا من

(١) أخرجه البخاري (٣٤) و(٢٤٥٩) و(٣١٧٨)، ومسلم (٥٨) وأبو داود (٤٦٨٨)،

والترمذي (٢٦٣٤)، والنسائي: ١١٦/٨ وأحمد: ١٨٩/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر: ٨٩/٩.

(٣) شرح السنة، البغوي: ٧٦/١.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

هذا ولا هذا، وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق، ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من الإيمان، ولم يأت بتمام الإيمان الواجب، وهؤلاء ليسوا فساقاً تاركين فريضة ظاهرة، ولا مرتكبين محرماً ظاهراً، لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين، وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم^(١).

ولما تقرر عند الصحابة - ﷺ - أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية^(٢)، خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر بالرجوع إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال؛ خشي أن يكون ذلك منه نفاقاً؛ جاء في الحديث عن حنظلة الأسدي^(٣) أنه مر بأبي بكر وهو يبكي، فقال: ما لك؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول ﷺ يذكرنا بالجنة

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٢٧/٧.

(٢) روى ابن بطة في الإبانة عن الحسن قوله: كانوا يقولون: من النفاق اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج. الإبانة، ابن بطة: ٦٩٠/٢.

(٣) حنظلة بن الربيع بن رباح، أبو ربعي، يقال له: حنظلة الكاتب، أرسله النبي ﷺ إلى أهل الطائف ونزل الكوفة وتخلف عن علي يوم الجمل، ونزل قرقيساء، مات في خلافة معاوية. ينظر: الإصابة، ابن حجر: ١٣٤/٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

والنار كأننا رأي عين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إننا لكذلك، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا رسول الله، وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»^(١) (٢).

فالخصال المذكورة في الحديث هي خصال المنافقين، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، وأطلق النفاق هنا تحذيرا للمسلم من ارتكاب هذه الخصال، مع أن المؤمن يجتمع فيه «إيمان ونفاق، وبعض شعب الإيمان، وشعبة من شعب الكفر»^(٣) كما في هذا الحديث.

فالحديث دليل على أن النفاق يتبعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب يزيد وينقص، فكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه أصل النفاق من: غل النبي ﷺ أو حرج من قضاياه، أو يجوز أن دين النصارى أو اليهود

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ٤٨٠/٢ - ٤٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٥٢٠/٧. ينظر: شرح النووي: ٤٧/٢، فتح الباري،

ابن حجر: ٩٠/١.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

دين صحيح ويميل إليهم، فهذا لاشك في أنه كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، ومن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال، وكان في قلبه جزم بالإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وبالمعاد، فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها وليس هو بكافر^(١).

الرابع: قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»^(٢). متفق عليه.

والمراد بالإيمان المنفي هنا: كمال الإيمان الواجب، وإن كان مع الإنسان أصل الإيمان؛ ذلك أن العاصي يصير أنقص حالاً في الإيمان ممن لا يعصي، فلا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان؛ فأهل السنة مجمعون على أن مرتكب الكبائر لا يكفر إلا بالشرك^(٣).

ولفظ الحديث يفهم منه هذا؛ فإن النبي ﷺ أفصح العرب، ولو أراد نفي حقيقة الإيمان عن أصحاب هذه المعاصي، وإخراجهم منه

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٦٤/١١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) و(٥٥٧٨) و(٦٧٧٢) و(٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والنسائي ٦٤/٨، ٦٥، ٣١٣، وأحمد ٢/٢٤٣، ٣١٧، ٣٧٦، ٣٨٦، ٤٧٩.

(٣) ينظر: شرح النووي: ٤١/٢، فتح الباري، ابن حجر: ٣٤/١، مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٥٢٤/٧.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

إلى الكفر لقال: إن الزاني والسارق غير مؤمنين، أو أنهما ليسا من المؤمنين، ولم يعدل إلى هذه العبارة المقيدة بحال المباشرة للذنوب والملابسة له، ولا يخلو عدوله إليها من معنى لطيف لبلاغته التامة^(١)، فنفي الإيمان عنهم كان لانتفاء ذوق حقائقه، ونقص بعض واجباته، فمن كان مخلصاً لله حق الإخلاص، وقام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة لم يزن، وإنما يزني لخلوه عن ذلك، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه، ولم ينزع منه أصله فلهذا قيل هو مسلم^(٢).

قال أبو جعفر^(٣): هذا الإسلام، ودور دائرة واسعة، وهذا الإيمان، ودور دائرة صغيرة في وسط الكبيرة، فإذا زنى أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله^(٤).

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير: ٢٣٣/٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣٠٦/٧، جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ١١٣/١.

(٣) السيد الإمام، أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، العلوي، الفاطمي، المدني، ولد سنة ٥٦ هـ. أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الإمامية، كان من فقهاء التابعين، واتفق الحفاظ على الاحتجاج به، توفي سنة ١١٤ هـ بالمدينة، ينظر: طبقات ابن سعد ٣٢٠/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٠١/٤، البداية

والنهاية، ابن كثير ٣٢١/٩.

(٤) الإبانة، ابن بطّة، ٧١٣/٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وقال الحسن البصري^(١) ومحمد بن جرير الطبري^(٢): معناه ينزع عنه اسم المدح الذي سمى الله به أوليائه، فلا يقال في حقه مؤمن، ويستحق اسم الذم فيقال سارق وزان وفاجر وفاسق^(٣).
وقد بوب البخاري - رحمه الله - في كتاب الحدود أحد أبوابه بعنوان: باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج عن الملة^(٤).
وقال ابن أبي شيبة^(٥) في هذا الحديث: لا يزني الزاني حين

(١) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت، كانت أمه مولاة لأم سلمة رضي الله عنها، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر، كان من أعلم أهل زمانه، ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٠ هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ١٥٦/٧، البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٢٥/٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٢٥/٥.
(٢) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري/ كان من كبار أئمة الاجتهاد، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ، ينظر في ترجمته: تاريخ بغداد، البغدادي: ١٦٢/٢ - ١٦٩، طبقات الشافعية، السبكي: ١٢٠/٣ - ١٢٨، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٥٦/١١.

(٣) تهذيب الآثار، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: ناصر الرشيد وعبد القيوم عبد رب النبي، مطابع الصفا، مكة المكرمة: ١٤٠٢ هـ، ٦٥٠/٢، وينظر: شرح مسلم، النووي: ٤٣/٢، فتح الباري، ابن حجر: ٦٠/١٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحدود، ٧٥/١٢ (الصحيح مع الفتح).

(٥) عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة، أبو بكر العباسي مولاهم الكوفي، سيد الحفاظ من الأئمة الأعلام وهو صاحب المسند والمصنف من أقران الإمام أحمد، مات سنة ٢٣٥ هـ.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

يزني وهو مؤمن: لا يكون مستكمل الإيمان، يكون ناقصاً من إيمانه^(١).
الخامس: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

جاء عن السلف تفسير الكفر الوارد في هذه الآية بالكفر الأصغر، وعلى رأس هؤلاء ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي قال: هي به كفر، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٣).
وقال: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه. قال سفيان^(٤): أي ليس كفراً ينقل عن الملة^(٥).

وعن عطاء قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق^(٦).

ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي: ٦٦/١٠، تذكرة الحفاظ، الذهبي: ٤٣٢/٢، سير

أعلام النبلاء، الذهبي: ١٢٢/١١.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣٢٩/٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ابن بطة العكبري، رقم ١٠٠٥، ج ٢.

(٤) سفيان بن عيينة، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ،

كان من الأئمة الحفاظ، مات سنة ١٩٦هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ٤٩٧/٥،

تاريخ بغداد، البغدادي: ١٧٤/٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٥٤/٨.

(٥) الإبانة، ابن بطة: ٧٣٦/٢ رقم: ١٠١٠.

(٦) المصدر السابق نفسه، رقم: ١٠٠٩.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وعن طاووس قال: ليس بكفر ينقل عن الملة^(١).

وهذه النصوص أوردها الإمام ابن بطة تحت عنوان: باب: ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج عن الملة^(٢).

وهي كلها تفيد أن الحكم بغير ما أنزل الله معصية وكبيرة، وليست بكفر ناقل عن الملة، على أن هناك نصوصاً أخرى عن ابن عباس أيضاً تفيد أنه كفر أكبر ناقل عن الملة، منها قوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً لقول الرسول ﷺ فهو كافر»^(٣).

وقوله: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به فهو ظالم فاسق^(٤).

ولا تعارض بين هذه النصوص وما قبلها، ذلك أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما

(١) المصدر السابق نفسه، رقم: ١٠٠٧.

(٢) الإبانة، ابن بطة: ٧٢٣/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة النشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج ٥ ص ١٩٠.

(٤) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/

٢٠٠١م، ج ٨، ص: ٤٦٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه لرشوة دفعت إليه، أو عداوة للمحكوم عليه، أو قرابته أو صداقته للمحكوم له ونحو ذلك، مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافراً كفراً أصغراً^(١).

السادس: قال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٢).

والكفر المراد هنا هو الكفر الأصغر، وأورد ابن بطة هذا الحديث تحت باب ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج عن الملة^(٣).

والكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيراً، أما بعد المبعث فإنهم قليل، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة إخبار الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة؛ ومما يؤكد على أن المراد بالكفر هنا الكفر الأصغر ما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ

(١) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ٤٩٣/٢، فتاوى اللجنة الدائمة: ٩٣/٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد:

٤٧٦، ٤٢٩، ٤٠٨/٢.

(٣) الإبانة، ابن بطة: ٧٣٠/٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»^(١).

والعراف هو الكاهن؛ ففي هذا الحديث نصّ على عدم قبول صلاته، فلا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، ولكنه لم يشر إلى كفره، فيجمع بينه وبين الحديث الأول بأن المراد بالكفر هناك: كفر دون كفر أي الكفر الأصغر^(٢).

السابع: قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٣).

وقد حمل العلماء ذلك على الكفر والشرك الأصغر، وهما من أكبر الكبائر، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه^(٤): لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد: ٦٨/٤.

(٢) ينظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، طبع عام ١٤١٣هـ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) وصححه الحاكم: ١٨/١.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وهو صاحب سواك الرسول ﷺ ووساده ونعليه وطهوره، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ، ينظر: طبقات ابن سعد: ١٥٠/٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٦١/١.

(٥) أخرجه الإمام أحمد: ٢٣٠/٣، وابن ماجه (٤٢٠٣)، وإسناده حسن كما قال =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

مع أنه من المعلوم أن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر، وإلا لما أقدم عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - على هذا القول، فالحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وعلى تقدير الصدق في الحلف بغير الله، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك^(١).

الثامن: قال عليه السلام: «ثنتان في أمتي هما كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»^(٢).

والكفر هنا هو الكفر الأصغر، وأطلق على هذين الفعلين هذا الوصف لأنهما من أعمال الكفار، وأخلاق الجاهلية. والمراد تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة^(٣).

والمراد بالطعن في النسب هو الوقوع فيها بالعيب والتنقص، ولما عيّر أبو ذر - رضي الله عنه - رجلاً قال له النبي ﷺ: «أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٤). متفق عليه.

= الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، فتح المجيد، عبد الرحمن ابن

حسن، ص ٣٤٨، فتاوى اللجنة الدائمة: ٢٢٧/١.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧)، وأحمد: ٣٧٧/٢، ٤٤١، ٤٩٦.

(٣) ينظر: شرح النووي: ٥٧/٢.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

فالطعن في النسب من عمل الجاهلية، والمسلم قد يكون فيه شيء من خصال الجاهلية ولا يوجب ذلك كفره^(١).

والنياحة هي: رفع الصوت بالندب على الميت، وهي من الكفر العملي، لأنها تسخط بقضاء الله، وهذا ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة^(٢).

التاسع: قال ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر»^(٣).

والكفر الوارد هنا ليس هو الكفر الذي يخرج عن ملة الإسلام، وورد على سبيل التغليظ والزجر لفاعل ذلك لعظم حق الوالد، فهو أصل الولد الذي منه خلق، والولد من كسبه، فالجحد له شعبة من شعب الكفر؛ لأنه جحد لما منه خلقه ربه، فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه، ولكن ليس هذا جحد الخالق بالكلية^(٤).

إلى غير ذلك من الأحاديث، والقاعدة هي أن يقال: إن أهل السنة مجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة - كما قالت الخوارج - إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٥٤٠/٧.

(٢) ينظر: فتح المجيد، عبد الرحمن بن حسن، ص: ٢٦٢.

(٣) أخرجه البخاري (١١٣)، وأخرجه مسلم (٦٧٦٨)، وأحمد: ٥٢٦/٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٣٥٦/٧.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

لكان مرتداً يقتل على كل حال، فلا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجرى الحدود، فدل هذا على أنه ليس بمرتد، بل مازال مسلماً تجري عليه أحكام الإسلام، وإن كان غير كامل الإيمان، فمن لم يقترب تلك المعاصي أكمل منه إيماناً.

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام^(١):

«أما هذا الذي فيه ذكر الذنوب والجرائم، فإن الآثار جاءت بالتغليظ على أربعة أنواع: فاثان منها فيها نفي الإيمان، والبراءة من النبي ﷺ والآخران فيها تسمية الكفر، وذكر الشرك»^(٢).

ثم قال: «وإن الذي عندنا في الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً، ولكن إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه»^(٣).

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، ولد سنة ١٥٧هـ، كان إماماً مجتهداً ذا فضل ودين، وكان صاحب سنة، ولي القضاء بطر سوس، ثم أقام بمكة حتى مات سنة ٢٢٤هـ، ينظر: طبقات ابن سعد: ٣٥٥/٧، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم: ١٠١/٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٩٠/١٠.

(٢) كتاب الإيمان، ومعالمه، وسننه، واستكمال ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ضمن: من كنوز السنة، رسائل أربع، دار الأرقم، الكويت، ص: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٣.

الفصل الثاني

غلاة التكفير والتحذير منهم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالخوارج وبيان نشأتهم.

المبحث الثاني: النصوص الواردة في التنفير منهم.

المبحث الثالث: أساس بدعة الخوارج.

المبحث الرابع: التحذير من الغلو في التكفير.

المبحث الأول: التعريف بالخوارج وبيان نشأتهم:

الخوارج: جمع خارجة، أي: طائفة، وهم الذين خرجوا على

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولهم عدة أسماء منها:

الحرورية والشراة والمحكمة وغيرها..

فأما الخوارج فسموا به - على رأي ابن حجر - «لخروجهم عن

الدين، وخروجهم على خيار المسلمين»^(١)، أو «لخروجهم عن

الجماعة وقيل لخروجهم عن طريق الجماعة»^(٢) لأن «كل من خرج

على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء

كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم

(١) فتح الباري، ابن حجر: ٢٨٣/١٢.

(٢) شرح النووي: ١٦٤/٧.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»^(١).

وسموا بالحرورية لنزولهم بحروراء^(٢) في أول أمرهم.

وبالمحكمة لإنكارهم أمر الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

وبالشراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة^(٣).

إلا أن اسم الخوارج في معناه الأول الذي يشير إلى الانشقاق

ومفارقة الجماعة أصبح الاسم السائر على هذه الجماعة^(٤).

ويجمعهم القول بتكفير عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب،

وأصحاب الجمل، وصفين، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم،

وصوب الحكمين أو أحدهما، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف

السنة حقاً واجباً، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، وأن مرتكبي

الذنوب كفار إلا النجدات خالفتهم في ذلك، وكذلك أجمعوا على

أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات^(٥).

(١) الملل والنحل، الشهرستاني: ١١٤/١.

(٢) حروراء: قرية على ميلين من الكوفة، وإليها نسبت الخوارج. ينظر: معجم

البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت: ٣٤٥/٢.

(٣) مقالات الإسلاميين، الأشعري: ٢٠٦/١.

(٤) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل

للبحوث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، أحمد حيلي: ٣٦.

(٥) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الإسفرايني مقالات الإسلاميين،

الأشعري ١٦٧/١، الفرق بين الفرق، البغدادي، ص: ٥٠، الملل والنحل، =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ويرى بعض المؤلفين في الفرق أن أول قرن طلع من الخوارج ظهر في عهد رسول الله ﷺ وهو رجل طعن على النبي ﷺ في قسمته، واسمه عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله. فقال ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟» فأراد عمر - رضي الله عنه - قتله فمنعه النبي ﷺ، وذكر الحديث في صفة الخوارج وأنهم يخرجون من ضئضيء هذا الرجل^(١).

ورغم هذه الصلة القوية إلا أن الخوارج لم يظهروا كجماعة إلا بعد حادثة التحكيم^(٢).

ويرى جماعة من العلماء أن أصل الخوارج الجماعة التي أنكرت على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في العبادة، واجتمعوا من بلدان شتى، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنكروا سيرة بعض أقارب عثمان بن عفان، فطعنوا على عثمان بذلك، جاء في البداية والنهاية أن أهل البصرة خرجوا معهم حرقوص بن زهير - الذي صار من قادة الخوارج فيما بعد^(٣).

= الشهرستاني: ١/١١٥، الفتاوى، ابن تيمية: ٤٨١/٧.

(١) أخرجه البخاري: ٦٩٣٣.

(٢) دراسة عن الفرق، جلي، ص: ٤٠.

(٣) ينظر: الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد =

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ومع ذلك فلم يجتمعوا، ولم تبلور عقائدهم على ما صارت إليه إلا بعد حادثة التحكيم.

فالصحيح أن هؤلاء كانوا نواة للخوارج، إلا أن خروجهم الحقيقي كان في عهد علي - عليه السلام - فقد كانوا معه في حربه، فلما رُفعت المصاحف في موقعة صفين، ألجؤوا علياً إلى قبول ذلك وقالوا له: يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلا دفعنا برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلن بك^(١).

فلما قبل علي بذلك وكتب الكتاب بقبول التحكيم، أنكرت الخوارج ذلك، وحين رجع إلى الكوفة فارقه إلى مكان يقال له حروراء، ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع جماعة منهم، ثم خرج إليهم علي - عليه السلام - فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة، وأشاعوا أن علياً تاب من الحكومة، فخطبهم وأنكر ذلك، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقال - عليه السلام -: كلمة حق يراد بها باطل، وقال لهم: لكم علينا ثلاثة: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا من رزقكم من

= الفقهي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م، ٢١، فتح الباري،

ابن حجر: ٢٨٣/١، مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٨٨/٢٨، البداية والنهاية، ابن

كثير: ٢٠٦/٧.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٨٣/٧.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

الفيء، ولا نبذوكم بقتال ما لم تحدثوا فساداً.

وخرجوا شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمعوا بالمدائن، وأصروا على الامتناع من طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم - مع أنهم هم الذين ألجؤوه إلى قبوله - ويتوب من ذلك، وأرادوا قتل رسول أمير المؤمنين، ثم قتلوا عبد الله ابن خباب بن الارت^(١)، وكان والياً لعلي، وبقرؤا بطن سريته عن ولد له، فخرج إليهم علي - ﷺ - في الجيش الذي هياه للخروج إلى أهل الشام، وقاتلهم في موقعة النهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، ولم يقتل من جيش علي إلا عشرة^(٢).

وقد عرف عن الخوارج الشدة في القتال والثبات والإقدام على الموت^(٣).

ولكن لم تضع معركة النهروان نهاية للخوارج؛ بل أذكت فيمن

(١) عبد الله بن خباب بن الارت التميمي، صحابي جليل، ولد في زمن النبي ﷺ، فسماه عبد الله، قتله الخوارج سنة ٣٧هـ، وكان والياً لعلي ﷺ. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٢٨٨/٧، الإصابة، ابن حجر: ٣٠٢/٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص: ١٥، البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٨٣/٧ - ٣٠٠، فتح الباري، ابن حجر: ٢٨٣/١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر: ٢٩١/١٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

بقي منهم روح القتال، وانضم إليهم من مال إلى رأيهم، حتى كان منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي قتل علياً بعد أن دخل في صلاة الصبح، وقال لما ضربه: لا حكم إلا لله، ليس لك يا علي، ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١)، ومدحه على فعله عمران ابن حطان^(٢) في ذلك:

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا^(٣)
ثم كانوا مقموعين في إمارة زياد^(٤) وابنه عبيد الله^(٥) على

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) عمران بن حطان، من رؤوس الخوارج، قيل إنه تزوج من خارجية ليردها فصرفته إلى مذهبه، توفي سنة ٨٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢١٤/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢١٥/٤.

(٤) زياد ابن سمية وهي أمه، استلحقه معاوية بأنه أخوه، وكانت أمه سمية مولاة للحارث بن كلوة الثقفي، كان من نبلاء الرجال وساداتهم، مات سنة ٥٣هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ٩٩/٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٩٤/٣، الإصابة، ابن حجر: ٥٨٠/١.

(٥) عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمير العراق، كان سفاكاً للدماء، قُتل يوم عاشوراء سنة ٦٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٥٤٥/٣، البداية والنهاية، ابن كثير:

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

العراق، وظهروا ثانية لما ادعى مروان بن الحكم^(١) الخلافة وغلب على الشام ومصر، فظهر الخوارج بالعراق مع نافع بن الأزرق^(٢)، وباليمامة مع نجدة بن عامر^(٣)، وزاد نجدة على معتقد الخوارج: أن من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر، ولو اعتقد معتقدهم «وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد فأبطلوا رجم المحصن وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد بمكة، كان كاتب عمه عثمان بن عفان، وولي المدينة لمعاوية، ملك الشام ومصر تسعة أشهر، ومات خنقاً سنة ٦٥هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ٣٥/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤٧٦/٣، الإصابة، ابن حجر: ٤٧٧/٣.

(٢) نافع بن الأزرق أمير الخوارج، خرج من البصرة إلى الأهواز أيام ابن الزبير، وحاربهم المهلب، وإليه تنسب الأزارقة، وأهم آرائها: أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإسلام ويخلد في النار، وأسقطوا الرجم عن الزاني. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ١٢٠/١، الفرق بين الفرق، البغدادي ٦٢، تلبس إبليس، ابن الجوزي: ٢٩.

(٣) نجدة بن عامر الحنفي، خرج من الإمامة مع عسكره يريد اللحق بالأزارقة، واستحل دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حالة التقية، ويرى أن من كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو مشرك. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ١٢٣/١، الفرق بين الفرق، البغدادي: ٦٦.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

الحائض في حال حيضها»^(١). ثم لم يزل منهم بقايا في طول الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية، ودخل طائفة منهم المغرب.

وسياتي في المبحث القادم في النصوص الواردة في ذمهم الإشارة إلى صفة الرجل الذي يقتل معهم وهو ذو الشدية، وهي - كما يقول ابن تيمية -: علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر^(٢). ومثلما كان للخوارج حضور في أول الفتن فسيكون لهم حضور في آخرها؛ قال حذيفة: أول الفتن: قتل عثمان، وآخر الفتن: الدجال^(٣).

فلا يزال الخوارج يخرجون حتى يدرك آخرهم الدجال، جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ينشأ نشأً يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع، قال ابن عمر: سمعت رسول الله يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في عراضهم الدجال^(٤).

(١) فتح الباري، ابن حجر: ٢٨٤/١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٩٥/٢٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٠١/٧.

(٤) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب ذكر الخوارج (١٧٤) قال البوصيري: الحديث حسن.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وهذا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - لما قتل أهل النهروان وصار الناس يقولون له: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم، فقال علي: كلا والله، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه^(١).

المبحث الثاني: النصوص الواردة في التنفير منهم:

جاءت نصوص كثيرة تحذر من الخوارج، وتذم مذهبهم، وذلك في السنة النبوية، وكذلك في أقوال الأئمة.

قال الإمام أحمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه.
وقال ابن تيمية: وقد رواها مسلم في صحيحه، وروى البخاري منها ثلاثة أوجه: حديث علي وأبي سعيد الخدري^(٢)، وسهيل بن حنيف^(٣)،

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٠٠/٧.

(٢) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، أبو سعيد الخدري، استشهد أبوه يوم أحد، وشهد الخندق وبيعة الرضوان، كان من فقهاء الصحابة، مات سنة ٧٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٦٨/٣، البداية والنهاية: ٤/٩، الإصابة، ابن حجر: ٣٥/٢.

(٣) سهيل بن حنيف، أبو ثابت الأنصاري، شهد بدرًا والمشاهد، كان من أمراء علي، مات بالكوفة سنة ٣٨هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ١٥/٦، سير أعلام النبلاء: ٣٢٥/٢، الإصابة، ابن حجر: ٢٧٣/٤.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وفي السنن والمساند طرق أخرى متعددة^(١).

وذكر الحافظ ابن كثير أكثر من ثلاثين حديثاً وردت في الصحاح

والسنن والمسانيد^(٢).

فمنها الحديث الصحيح في الرجل الذي أنكر قسمة النبي ﷺ،

واستأذن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ضرب عنقه فلم يأذن له وقال:

دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاته، وصيامه مع

صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه

فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نعله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر

إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلم يوجد فيه

شيء^(٣)، قد سبق الفرث والدم. آيتهم رجلٌ إحدى يديه - أو قال ثديه -

مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين

فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٥١٢/٢٨.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٠١/٧.

(٣) يعني أن جميع أجزاء السهم المرمي به لا يوجد بها أثر وإصابة الصيد وكذلك

هذه الطائفة لا يبقى فيهم أي أثر للدين. ينظر: فتح الباري، ابن حجر:

٣٠٢-٢٩٠/١٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعتة النبي ﷺ^(١).
وأمر النبي ﷺ بقتال الخوارج، وبين أن في قتلهم أجراً لمن
قتلهم، ففي الصحيحين عن علي - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام،
يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في
قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة^(٢).

فأكرم الله علياً بقتلهم وقاتل معه الصحابة «فصار سيف علي بن
أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة»^(٣).

قال الإمام البخاري: وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله،
وقال: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين^(٤).
وكان علي - رضي الله عنه - يقول: هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴿قُلْ هَلْ
نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٥) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٣)، وأبو داود (٤٧٦٤)، والنسائي (٨٧/٥)، وأحمد: ٥٦/٣، ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، وأحمد: ١١٣/١.

(٣) الشريعة، الآجري، ص: ٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج (٢٨٢/١٢) مع
الفتح، قال ابن حجر: وسنده صحيح (الفتح ٢٨٦/١٢).

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

صُنْعًا^(١). منهم أهل النهروان ورب الكعبة^(٢).

وجاء عن أبي أمامة^(٣) أنه لما أتى برؤوس الأزارقة فنصبت ورآهم دمعت عيناه وقال: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، فسئل: وما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم لأنهم كانوا من أهل الإسلام، هؤلاء الذين تفرقوا واتخذوا دينهم شيعاً^(٤).

والنصوص الواردة في ذم الخوارج أكثر من النصوص الواردة في ذم غيرهم من الفرق، مع أن غيرهم من الفرق قد يكون أشد ابتداعاً منهم، ولكن بدعتهم واضحة، أما هؤلاء فالفتنة بهم أعظم لأن لهم إيماناً وحالاً ظاهرة من الصلاح توجب موالاتهم، ودخلوا في تلك البدعة التي تفسد الدين، فلذا جاء النص في التحذير منهم، وعلى هذا فلا بد من التحذير ممن تلبس ببدعتهم، وإن اقتضى ذلك

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) السيرة النبوية، ابن حبان، ص: ٥٤٦.

(٣) أبو أمامة الباهلي، صاحب رسول الله ﷺ ونزيل حمص، مات سنة ٨٦ هـ. ينظر:

طبقات ابن سعد: ٤١١/٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/٣٥٩، الإصابة، ابن

حجر: ١٨٢/٢.

(٤) السنة، عبد الله بن أحمد: ٦٤٣/٢، ٦٤٤.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

ذكرهم وتعيينهم، ذلك أن بدعة التكفير أشد من غيرها من البدع^(١).

المبحث الثالث: أساس بدعة الخوارج:

جاء في الأحاديث السابقة - وغيرها - الإشارة إلى اجتihad الخوارج في العبادة من صلاة، وصيام، وتلاوة قرآن وما إلى ذلك من إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك جاء التحذير الشديد منهم في الأحاديث وعلى لسان الصحابة - كما سبق من وصف ابن عمر لهم بأنهم شرار الخلق، وذلك أن أساس بدعتهم كما يقول الآجري^(٢) - أنهم «قوم يتأولون القرآن على ما يهودون، ويموهون على المسلمين»^(٣). فمذهبهم قام على الغلو والتشدد في فهم الدين^(٤).

فهم كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع^(٥)، ووصفهم ابن عباس عند ذهابه لمناظرتهم فقال: «فأتيت فدخلت

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٢٨/٢٣٣.

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي ثم المكي، كان إماماً عالمياً عاملاً، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمكة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي: ٢/٢٤٣، طبقات الحفاظ، السيوطي: ٣/١٣٩.

(٣) الشريعة، الآجري، ص: ٢١.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة، ص: ٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر: ١٢/٢٨٣.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

على قوم لم أر أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود^(١).

وكان لعسكرهم مثل دوي النحل من قراءة القرآن، وفيهم أصحاب البرانس الذين كانوا معروفين بالزهد والعبادة^(٢).

فالخوارج كان فيهم غلو في الديانة وتشديد في غير موضع التشديد، وتنطع في العبادة بحمل النفس على ما لم يأذن فيه الشرع مع وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، ومع أنه ندب إلى الشدة مع الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج^(٣).

ولما ذكر لابن عباس الخوارج وما يلقون عند قراءة القرآن، قال: يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه^(٤).

وكان علي يقول وهو يمشي بين القتلى منهم: بؤساً لكم، لقد ضرکم من غرکم. فقال أصحابه: يا أمير المؤمنين: ومن غرهم؟ قال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، غرتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون^(٥).

(١) تلبس إبليس، ابن الجوزي: ٩١، فتح الباري، ابن حجر: ٢٨٩/١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر: ٢٩٦/١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر: ٣٠١/١٢. ينظر: شرح النووي: ١٦٦/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر: ٣٠٠/١٢، وقال: إسناده صحيح.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٩٩/٧.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وكان عبد الله بن وهب الراسبي - أحد أمراء الخوارج - قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود^(١).

فلا يُنازع في أن الخوارج كان لهم من الصلاة والصيام والقراءة والعبادة والزهادة ما لم يكن لعموم الصحابة، ولكن ضلالهم كان في اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وأنهم هم - أي الخوارج - أعلم من علي بن أبي طالب وسائر الصحابة الذين عاصروا التنزيل فهم أعلم بالتأويل منهم، وهذا ما ذكره ابن عباس لهم عندما ذهب لمناظرتهم فقال: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم^(٢).

فالخوارج لم يتحملوا ما فعله أمير المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما من أنواع التأويل فجعلوا - كما يقول ابن تيمية: «موارد الاجتهاد بل الحسنات ذنوباً، وجعلوا الذنوب كفراً، ولهذا لم يخرجوا في زمن أبي بكر وعمر لانتفاء تلك التأويلات وضعفهم»^(٣). ولا غرو في أن ينكر الخوارج على الصحابة رضوان الله عليهم

(١) المصدر نفسه: ٣٠٠/٧.

(٢) تلبس إبليس، ابن الجوزي: ٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٩٥/٢٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

وعلى علي عليه السلام ما فعله من قصد المصلحة من التحكيم ومحو اسمه وما تركه من سبي نساء المؤمنين وصبيانهم، فقد أنكر أولهم على رسول الله ﷺ إعطاء المؤلفة قلوبهم مع ما فيه من المصلحة، وهذا إنما ينكره ذوو الدين الفاسد الذي لا يصلح به دنيا ولا آخرة، فلهذا أمر النبي ﷺ بقتالهم وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(١) أي قتلاً عاماً مستأصلاً، وأخبر أنهم شر الخلق والخلقة^(٢).

قال الأجري: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج»^(٣).

ويجدر هنا التأكيد على أن حسن النية، وسلامة القصد بمجردها لا تكفي، فالخوارج ضلوا من حيث أرادوا الخير^(٤). وهذا يذكرنا بقول ابن مسعود - رضي الله عنه - لما رأى قوماً في المسجد ينتظرون الصلاة معهم حصى وفيهم رجل يقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، ثم يقول:

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٤٩٧/٢٨، ٥٠٢.

(٣) الشريعة، الأجري: ٢١.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة، ص: ٧٦.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

هللوا مائة، فيهللون مائة، ثم يقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، فعاتبهم فاعتذروا بأنهم إنما أرادوا الخير، فقال لهم: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وإيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة^(١): رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^(٢).

المبحث الرابع: خطورة التكفير وآثاره:

المسائل والقضايا المتعلقة بالإسلام والإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جداً؛ فإن الله علّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم بعد

(١) عمرو بن سلمة الهمداني الكوفي، تابعي كبير من أصحاب علي، مات سنة ٨٥هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: ١٧١/٦، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٥٢٤/٣.

(٢) مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن يهرام الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الدارائي، دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، المقدمة ح(٢١٠)، ٢٨٧/١.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

خلافهم هذا ظهرت بقية الفرق وصارت الأمة شيعاً وأحزاباً^(١).

وكان من الفوائد التي أخذت من قوله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»^(٢) الزجر عن التكفير، والتحذير منه، والوعيد الشديد لمن تلبس به^(٣).

فالتكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب الثبوت فيه غاية الثبوت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه، والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي^(٤).

فلا يصار إلى التكفير بمجرد الظن والهوى، فهو من أعظم القول على الله بلا علم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(٥).

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ١١٤/١.

(٢) سبق تخريجه ص: ١٢.

(٣) ينظر: شرح النووي: ٤٩/٢، فتح الباري، ابن حجر: ٤٦٦/١٠.

(٤) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد صالح العثيمين، مطبوعة ضمن الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين، دار الثقة، مكة المكرمة،

الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ١ ص: ٢٣٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

فالحكم على إنسان ما بالكفر حكم شرعي، مضبوط بضوابط معلومة من الكتاب والسنة، فلا يصار إليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة عليه بالكفر، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت^(١)، ولهذا ذكر أبو داود^(٢) في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعث علي رقيقاً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار». قال أبو هريرة: والذي

(١) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامرة أبو داود الأزدي السجستاني، محدث البصرة وصاحب السنن، ولد سنة ١٨٢هـ، توفي سنة ٢٩٥هـ. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادى: ٢٢٥/٩، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٠٣/١٣، البداية والنهاية، ابن كثير: ٥٨/١١.

(٢) ينظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز: ٤٨٥/٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

نفسى بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته^(١).

وقال القاضي عياض في مطلع فصل المكفرات القولية: اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه^(٢).

وقال ابن تيمية مؤكداً على هذا: الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع^(٣).

وقال ابن الوزير: إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه، وإن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً، ولا نزاع في ذلك^(٤).

فلا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، ولا يخرج إنسان من الإسلام بمجرد الفهم واستحسان العقل، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه، أعظم أمور الدين، وما تنازع العلماء في كونه كفراً؛ فالاحتياط للدين التوقف وعدم الإقدام ما لم يكن في

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٢) الشفا، القاضي عياض، ج ٢ ص: ٦٠٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض: ٤٤٢/١.

(٤) العواصم والقواصم، ابن الوزير: ٤ / ١٧٨ - ١٧٩.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

المسألة نص صريح من الكتاب أو السنة^(١)؛ فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر عظيم، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد^(٢).

ولما أن كان التكفير حكماً شرعياً فقد كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مبادئ أهل العلم أنهم يُخطئون ولا يكفرون، فالكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، فكما لا يجوز للإنسان أن يكذب على من كذب عليه، أو يزني بأهل من زنى بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، فكذلك التكفير حق الله تعالى، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله^(٣).

ومن الآثار المترتبة على التكفير والدالة على خطورته: ما ذكره الفقهاء من الأحكام الخاصة بالمرتد مثل: قتله لقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس،

(١) رسالة في حكم من يكفر غيره من المسلمين، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل

التجديدية، دار العاصمة، الرياض: ٥/٥٢٢.

(٢) ينظر: الشفا، القاضي عياض: ٢٢/٥٩٥.

(٣) ينظر: الرد على البكري، ابن تيمية، الدار العلمية، دلهي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ،

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١).

وكون ماله يصير فيئاً لا يرث ولا يورث، وعدم صحة تزويجه لأنه لا ولاية له، وتحريم ذبيحته، وترك الصلاة عليه، وما إلى ذلك من أحكام^(٢)؛ بل إن عقوبة الكافر المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه، منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعتمد له ذمة؛ بخلاف الكافر الأصلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء، ومنها أن المرتد لا يزوج ولا تؤكل ذبيحته، خلاف الكافر الأصلي فهو - أي المرتد - شر من اليهود والنصارى^(٣).

ثم مما يبين خطورة التكفير والحكم على شخص بأنه كافر مستحق للقتل: خطورة القتل؛ روى الترمذي^(٤) من حديث ابن عباس

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)،

والنسائي: ٩٠/٧-٩١، وابن ماجه (٢٥٣٤)، وأحمد: ٣٨٢/١، ٤٢٨، ٤٤٤.

(٢) ينظر: المغني، ابن قدامة: ٢٦٤/١٢.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٢٣٤/٢٨، مجموعة الرسائل والمسائل: ٤٣/٤.

(٤) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الحافظ العلم السلمي الترمذي

الضرير، مصنف الجامع والعلل وغيرها، ولد سنة ٢١٠هـ، وارتحل في طلب

الحديث، مات سنة ٢٧٩هـ بترمذ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٧٠/١٣،

البداية والنهاية، ابن كثير: ٧١/١١، طبقات الحفاظ، السيوطي: ٢٧٨.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

أن رسول الله ﷺ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ورأسه وناصيته بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني» وقال: حديث حسن^(١).

وفيه أيضاً عن نافع^(٢) قال: نظر عبد الله^(٣) يوماً إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك^(٤). وفي صحيح البخاري: «ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة كف من دم أهراقه فليفعل»^(٥).

في صحيحه أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

(١) أخرجه الترمذي، (٣٠٢٩)، وأخرجه أحمد: ٢٤٠/١، ٢٩٤، والنسائي: ٨٥/٧، ٨٧، وابن ماجه: ٢٦٢١.

(٢) الإمام المفتي نافع، أبو عبد الله القرشي، مولى ابن عمر وراويته، توفي سنة ١١٧هـ، ينظر: الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم: ٤٥١/٨، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٩٥/٥.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، أسلم قديماً مع أبيه، استصغر يوم أحد وأجيز يوم الخندق، اعتزل الفتن، مات سنة ٧٤هـ، ينظر: طبقات ابن سعد: ٣٧٣/٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٠٣/٣، الإصابة، ابن حجر: ٣٤٧/١.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) موقوفاً على ابن عمر، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، مرفوعاً بإسناد فيه مقال كما قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: ١/٢٤٥.

(٥) أخرجه البخاري، رقم: ٧١٥٢.

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»^(١).
وفيه: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٢).
فإذا كانت هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان في عهده وأمانه، فكيف عقوبة قاتل عبده المؤمن الذي صح أن الله يعادي من يؤذيه ويؤذنه بالحرب^(٣).
فإذا كان للتكفير هذه الآثار والتي من أعظمها القتل، فإنه لا يحكم به إلا القضاة الذين يتولون الفصل والقضاء في سائر الحدود، فمن باب أولى ألا يحكم بارتداد المرتد غيرهم.
ويؤخذ من قول الفقهاء وعامة أهل العلم أن قتل المرتد إلى الإمام حراً كان أو عبداً؛ أن الإمام أو نائبه هو الذي يتولى إقامة حد القتل^(٤).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فقد كان أهم ما

(١) أخرجه البخاري: ٦٨٦٢، وأخرجه أحمد: ٩٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٣) العواصم والقواصم، ابن الوزير: ٣٤/٩.

(٤) ينظر: المغني، ابن قدامة: ٢٧٢/١٢.

تضمنه البحث ما يلي:

١. أن الكفر في اللغة هو الستر والتغطية، وهو في الشرع ضد

الإيمان، وسمي بذلك لأنه تغطية للحق وستر له، ولما كان

الإيمان عند أهل السنة والجماعة ذا شعب متعددة، منها ما

يزول الإيمان بزوالها، ومنها ما يضعف الإيمان بزوالها،

فكذلك الكفر ذو شعب متعددة، منها ما يوجب الكفر

ومنها ما هو من خصال الكفار، وموجبة للذم والعقاب، فما

كان من النوع الأول سمي الكفر الأكبر الاعتقادي، وأما

النوع الثاني فهو الكفر الأصغر العملي.

٢. تحصل الردة بالقول والفعل والاعتقاد والشك، وأعظم

المكفرات الشرك بالله، ومن المكفرات التي ذكرها العلماء:

جحد ربوبية الله أو وحدانيته، أو سب الله أو سب رسوله

ﷺ، تجويز الكذب على الأنبياء، والقاعدة في هذا: من أنكر

شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر، وكذلك من

جحد ما علم بالضرورة أنه واجب أو أنه محرم.

٣. جاء في كثير من النصوص تسمية بعض الذنوب كفراً، ومن

تلك الذنوب: قتال المسلمين بعضهم لبعض، تكفير

المسلم لأخيه المسلم، الحكم بغير ما أنزل الله، إتيان

الكهان، إتيان النساء في أدبارهن، الحلف بغير الله، الطعن

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

في النسب، والنياحة على الميت؛ وأجمع أهل السنة أن صاحبها لا يكفر الكفر الأكبر المخرج عن الملة. وأتى في نصوص أخرى نفي الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وأجمع أهل السنة أن المراد نفي كمال الإيمان. كذلك جاء في النصوص إطلاق النفاق على الكذب والخيانة والغدر والفجور، وأجمع أهل السنة أن المراد النفاق الأصغر. فأهل السنة مجمعون إجمالاً على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً مخرجاً عن الملة، إذ لو كان كذلك لكان مرتداً يقتل على كل حال، فلا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجرى الحدود.

٤. كان الخوارج أشهر من خالف في مسألة التكفير فقالوا بكفر صاحب الكبيرة، وكان خروجهم الحقيقي في عهد علي - رضي الله عنه - وقد جاءت نصوص كثيرة في ذمهم والتنفير منهم في السنة النبوية وفي أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -.

٥. يتمثل منهج الخوارج في تأويل القرآن على غير المراد منه وعلى التشدد في فهم الدين والتنطع والاستبداد بالرأي ولا ينازع أن لهم من العبادة ما لم يكن لغيرهم، وهذا بمجرد لا يغني عن الحق شيئاً..

٦. أن التكفير من الأحكام الشرعية والتي يجب التثبت فيها

للدكتورة: سارة بنت فراج العقلاء

غاية الثبوت، فلا يصار إليه بمجرد الظن والهوى، فمن أعظم البغي أن يشهد على مؤمن معين أنه مخلد في النار، ومما يدل على خطورته ما ذكره الفقهاء من الأحكام الخاصة بالمرتد مثل: قتله، وترك الصلاة عليه، وتحريم ذبيحته، وعدم صحة تزويجه، وكون ماله يصير فيئا، وما إلى ذلك من عقوبات هي أعظم من عقوبة الكافر الأصلي، ولما كان الأمر بهذه الخطورة وللتكفير هذه الآثار والتي من أعظمها القتل فإنه لا يحكم به إلا القضاة المشهود لهم بالعلم والفقه، ولا يقيم الحدود ومن أعظمها حد الردة إلا الإمام أو نائبه.

ختاماً أسأل الله بمنه وكرمه أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله خالصاً لوجهه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.